يولد الطفل الفلسطيني في اطار جغرافي واجتماعي مؤقت · الحياة بشروطها الراهنة مؤقتة · غدا نحرر الوطن ونعود الى منازلنا ، ونزرع حقولنا ونقطف ثمار ارضنا ·

يولد والعدو قد سرق بيته وانتماءه ·لذلك يجب ان يكبر كي يناضل الى جانب اخوانه، من اجل استعادة ارضه ، عندها ، تبدأ الحياة من جديد ، مليئة بالفرح والوعد بمستقبل افضل · ينمو الطفل ويراقب ، ويعيش جميع تعقيدات الحياة وتناقضات تربيته · ولكن ، وبما انه لا يزال طفلا ، لا يهتم به الا باعتبار انه سوف يكبر · وهو يدرك ان الحياة اليومية قاسية وصعبة · انه خائب الامل ، لا يفهم ، يشعر بالوحدة وعدم الامان · يخاف ان يكون جبانا ، ان لا يكون بمستوى المنتظر منه · يحتمي بالعائلة ، لكن العائلة التي هي مصدر الامان ، هي هنا في حالة دائمة من اللاامان ، انها في الهجرة أو الفقر ·

يحلم الطفل بمآثر خارقة ، ببطولات منتصرة · انه صلاح الدين مرة والقسام مرة اخرى ، ولكنه ، وقبل كل شيء شهيد · هو البطل ـ الميت ـ الحبيب الذي يطمئن للانتقام له ولمواصلة النضال · لن ينساه احد ، الجميع يحبونه ، يتحسرون عليه ، يعجبون به مع قليل من الحسد ··· لكن هذا لا يعني ان له وجودا ·

والطفل العربي ، لا يختلف كثيرا عن الطفل الفلسطيني · فهو ايضا يعيش في اللاامان ، وان بحدة اخف ولاسباب مختلفة ·

يعود اللاامان هذا اساسا الى اسباب نفسية : انه لا يتمتع بوجود خاص به · لا يحب لما هو بل لما يمثله (ويرحب بالذكر وليس بالانثى) · يشعر انه مهمل نوعا ما ومبعد · لا يتقلد طفولته كطفل ، بل يحسد الكبار الذين يحتكرون السلطة التي يخافها· محاكاة الكبار في اقوالهم وافعالهم يصبح هدفه ، وينجح في ذلك · فالصفة الاولى التي يعترف بها مجتمعنا للطفل هي نضجه المبكر (هكذا يفرح الكبار بطفلة السنوات الثلاث التي تعمل مع والدتها في الامور المنزلية ، أو امام ولد يعرف كيف يتصرف امام الغرباء، يجلس صامتا ، ملتصق الركبتين ، رصين المعالم) · لكن الطفل يتصرف هكذا بشكل لا شعوري ، اما اعتباره ناتجا عن قدرة على الاختيار الناضج ، فهو اعتبار خاطيء وسخيف ، بل على العكس ، يساهم هذا التصرف في تجميد تفتح الطفل وسحق شخصيته وروح المبادرة لديه · لكن الطفل يعلم ان هذا التصرف هو الطريق الوحيد لجذب اهتمام الكبار وعطفهم · وهذا ما يحتاجه بالضبط : اهتمام الاخرين به ومحبتهم له ·

نخرج من هذه الملاحظات باستنتاج واضح : ان الطفل الفلسطيني والعربي هو صورة للمجتمع الذي يعيش فيه·· انه نتاجه المنطقي · فهو امامنا بلا قناع او تمويه ، عار ودون حماية حقيقية · مثقل بتناقضات الوسط الاجتماعي ـ الثقافي حيث يعيش ·

خضع مجتمعنا العربي فترة طويلة للاستعمار الغربي ، ولا يزال خاضعا للسيطرة الامبريالية · وهو في سياقه السائد يتطلع الى حياة افضل مستوحاة من النموذج الغربي ، لكنه يعيش ايضا وسط جمود المحافظة على القيم والمباديء الاخلاقية التقليدية· هذا التناقض السائد ، يمنع الانسان العربي من ان يتماثل ويعرف نفسه في الماضي والحاضر بصورة عقلانية ومنطقية ·

وبامكاننا ان نقرأ هذه التناقضات في شفافية سيكولوجية طفل هذا المجتمع ·